

## رأي في الشعر

الشعر لغة الشعور وقد أخرج عن معناه الاصلى فأصبح يفهم منه الآن الكلام الموزون المقفى الذي يتوخى صاحبه ابداع خياله وشعوره فيه بصورة تستفز العواطف وتأخذ بمجامع القلوب وابتذله الاكثرون فأضحى حرفة يتعنى بها أحدهم ويعمد الى اكتسابها على طريقة علمية كأن يقرأ العروض والقوافي ثم يقبض على البراع ويحاول صف كلام ملفق ليس من الشعر في شيء طمعاً في أن يقال عنه انه شاعر وما أحراه أن يدعى صفاقاً فهو أشبه بمنضد الحروف في المطابع الا ان هذا يصف الحروف بقياس معلوم وطريقة مصطلح عليها وذلك يصف الكلمات حسب تفاعيل الخليل

الشعر شعور لا كلام والشاعر صاحب هذا الشعور يشعر بما لا يشعر به غيره ويسمع ما لا يسمعه غيره فعينه تخترق السحب وتسرح في فضاء العوالم وتأتي اليه بما لم يخطر على بال ، وخطاره يقترع أبكار الماني التي لم يسبقه اليها أحد ، ووجدانه يختلف عن وجدان سائر الناس ، والنظرة التي ينظر بها الى العمران ليست كمنظرة الناس . فكل نظم خالٍ من الخيال ليس حقيقاً أن يدعى شعراً ولا يمكن أن يعيش بعد صاحبه وربما مات قبله . وكم من شعر نُظم وكَم من شاعر نُظم فوارتهما أيدي الزمان في مدافن النسيان

فالشعر لا يعيش الا اذا استوفى شرطين : أولهما أن يكون فيه شعور فائق وخيال بالغ ، وثانيهما أن يكون مسبوكاً في قالب متين المبني موضع المعنى فالشرط الاول لا يتنازع فيه أحد ضرورة انه من مقتضيات الشعر وشرائطه الكبرى . نعم ان الشعر الذي لا شعور فيه ليس شعراً كما ان العلم الذي ليس فيه العلم الصحيح لا يمدد علماء . وما أحسن لفظة « شعر » تفصح عن المراد من الشعر وهي لفظة حسن وضعها لما يقصد

منها تفضل لفظة « بوتري » الاعجمية لان هذه تعني الفعل وليس فيها ما يستشف منه المعنى المرغوب والشيء المقصود . أما الشرط الثاني فلأن اللغة واسطة لنقل خيال الشاعر الى الناس . وأخرى بهذه الواسطة أن تكون محصنة من شوائب التعقيد ومعائب الالتباس . وكلما كانت اللغة صحيحة كان فهم الشعر سهلاً . فهي كالوعاء تودع فيها سوامي الفكر وسوانح الفطن . وإذا كان الوعاء ناقصاً في شيء . يوجب تمامه كان المودع فيه خليقاً أن تذهب بحسنه عوامل الايام . وكم من نظم طوته صحف الدهر لغير علة سوى انه أنشيء بعبارة تافهة تخالف القياس المألوف

ومن الناس من لا يدعن لهذا الشرط فيحسبون أن مراعاة اللغة في الكتابة سواء كانت نظماً او نثراً ليست ذات شأن فيقولون ان الغرض من اللغة ليس الا التفاهم فلا ينبغي أن يعنى بها كثيراً فيجوزون لانفسهم ارتكاب اغلاط فادحة في النحو واللغة وسائر العلوم اللغوية ناسين أن التفاضل عن الاهتمام باللغة يؤدي بهم الى فوضى لا يرأب صدعها ولا سيما ان اللغة العربية ضوابط تقيدها وقواعد تضبطها فاذا فسد التركيب فسد المعنى وفساد التركيب تضعيع اللغة وفساد المعنى ينط في فهم الافكار التي يقصد الشاعر نقلها الى قارئ شعره فيتج اذاً انه كلما كانت لغة الشعر ركيكة كان فناء الشعر المودع فيها سريعاً

يتضمن الخيال في الشعر وصف الافعال الذي يطرأ على النفس اذا أدرك صاحبها في عالم الحس شيئاً يدعو الى الانفعال وبعثاً ينزع به الى التأثر بحيث لا يستطيع معه الا الاتجاه الى الشعر للافصاح عما يكنه الفؤاد في صور كلامية يتجلى بها الخيال ويتجسم الشعور متقللاً من عالم الخيال الى عالم المنظور ولا يتوخى في هذا الانتقال الا دفع ألم وسد مطاب من مطالب النفس ثقاضى صاحبها اتمامه كما قد تقتضيه تأديتها مطاب أخرى

ليس الشعر عملاً من الاعمال العادية التي يتكلفها الانسان وينظمه الماش  
 اليها فيسمى انبلياً. الشعر ينظم لنفسه لانفاية أخرى ولا يكون شعراً الا اذا نظم أمر  
 انفعال من حادث أو شعور واما اذا نظم على سبيل التفكبة وبدون ذاع فيكون  
 متكلفاً فيه والنفس مقسورة على ابرازه على حين يجب ان يكون متبعاً من النفس  
 باختيارها وقبولها فالشاعر الذي ينظم محمولاً على النظم بيار الرغبة في الشهرة والتزوع  
 الى الصيت لا يكون شعوره شعراً. الشاعر كما قال بعض الاعاجم مخلوق لا مصنوع  
 وحسبك عليه من حجة دائمة انك الشاعر المطبوع ينظم الشعر وهو صبي لا يفرض  
 وانما يشعر بشيء. فينطق بالشعر عفواً مستخدماً الفاظ الصبيان للتعبير عن خياله ثم  
 يرتقي فيصبح اقدر على اظهار شعوره وينمو شعوره بنمو مركزه في الدماغ كما تنمو سائر  
 القوى العقلية كلما تقدم الانسان في العمر وقد تبني سجية الشعر في ظهورها لعله  
 خارجية فتأخر الى سن العشرين أو بعدها كما جرى لمتون الشاعر الشهير ولسكنها ظهرت  
 في أغلب الشعراء في سن الصبا وأعلى درجات الشعر وصف الطبيعة فيه تظهر قريحة  
 الشاعر بأعظم مظاهرها. يرى الشاعر في الوجود أموراً يتعذر على غيره رؤيتها ينظر الى  
 سيار كأنه هبط عليه وحي من الملى فينظم فيه المعاني الحسان على حين لو سئل غيره.  
 ان يصف السيار لما قال غير نجم منير. وفي أساطير الأوابن ان بعض الأمم اعتقدوا  
 بوجود قوة غيبية تلهم الشعراء وتوحى اليهم الشعر ولا توجه لسائر الناس. وما يراه  
 الشاعر في ظواهر الطبيعة يكون محبوباً تحت حجاب كفيف لا يرى الناس من ورائه  
 شيئاً على انه يصبح شفافاً اذا نظر اليه الشاعر فيرى وراءه كنوزاً وركازاً. وقد شئني  
 الافرنج بالشعر الوصفي فاجادوه ويتلوه في الحسن الشعر الذي يمثل الطبع البشري وما  
 في الانسان من العواطف والاميال وما يتنازعه من الاشواق والشعور الذي يطرا على  
 الشاعر عند حدوث نكبة عامة وما شا كل ذلك وكل وصف يمث عليه انفعال عظيم

أما الشعر الرثائي فأحسنه ما نظم عن أفعال شديد كما وقع لشاعر الانكثار العظيم تيسون حين نكب بقصد صديقه الحميم حلام المورخ المشهور فرثاه بقصيدة طويلة رنانة وصف فيها العواطف البشرية وصفاً دقيقاً وما استحوذ عليه من الغم في ذلك الخطب المؤلم . على ان الرثاء مبتذل الآن ، وكمن شاعر يرثي ميتاً لا يعرف سوى اسمه فيأتي شعره وأمارات التكلف بادية عليه ليس فيه الامعان تافهة سبقت النفس الى ابرازها سوقاً . والمدح أستط الشعر لما فيه من الاخلاق ولا سيما اذا قصد منه جرّ معنم أو دفع مغرم فيضطر الناظم أن يتدع المعالي والمكارم وينسبها الى ممدوحه ويبلغ الشعر المدحي أعلى درجة في عصر البداوة ويأفل نجمة في عصر الحضارة حتى يكاد يكون ممدوماً . وكان الشعراء يتخذون هذا النوع من الشعر وسيلة للزاني من الامراء واستردار العطايا من العطاء . والشعر الهجائي أرفع في نظري ان صح أن يكون لي نظر من الشعر المدحي وأقرب منه للفرض المبدي من الشعر خصوصاً اذا نظم عقيب تهيج حاسة الاشمزاز من ادراك شوائب وقائض في المهجوة تبث الشاعر على الهجاء اضطراراً ، وأما اذا تكلف له فيكون من اعمال العقل لا من اعمال الشعور والعواطف . وقد علمت مما مرّ بك أن الشعر من خصائص العواطف وليس للعقل علاقة به ، ولذلك لا يمدّ من الشعر كل ما نظم من المقولات والمقولات ، ويدخل تحت هذا الارجيز على تفاوت انواعها وآراء الفلاسفة التي أودعت في الشعر وآي الحكماء وعلماء الاخلاق . وبالجملة فان كل ما ليس له اتصال بالعواطف ليس شعراً وانما هو نظم ولا يتعذر على النبيه التمييز بين الشعر والنظم ان هو تذكر معنى كلمة شعر . والله أعلم

خليل الخوري

يافا